العرب
الأربعاء 2021/11/03
السنة 44 العدد 12229

سوريا تُودّع رائد القدود الحلبية صباح فخري

صوت سوري معبّر غنى القصيدة والدور والموشح من أساطين الشعر العربي

أيقونة الطرب ورقص السماح

فقدت الساحة الفنية السورية والعربية صباح الثلاثاء أحد أعمدتها الموسيقية والطربية، ملك القدود الحلبية الفنان السوري صباح فخري عن عمر ناهز ثمانية وثمانين عاما بعد معاناته من المرض، تاركا سجلا غنائيا لا ينضب معينه توزّع بين الأغنية والقصيدة والدور والموشح والموال.

دمشق – نعت وزارة الثقافة ونقابة الفنانين في سوريا المطرب الشهير صباح فخري "أحد أساطين وأعمدة الطرب العربي الأصيل" الذي توفي صباح الثلاثاء عن عمر ناهز ثمانية وثمانين عاما.

وولد فخري، الذي منح له تقديرا لفخري البارودي الذي رعى موهبته، باسم صباح الدين أبوقوس عام 1933 في حلب القديمة، حيث كان محاطا بثلة من شيوخ الطرب والمنشدين وقارئي القرآن وصانعي مجد القدود الحلبية، واعتاد والده اصطحابه صغيرا إلى جامع الأطروش في الحارة القريبة حيث تقام حلقات الذكر والإنشاد.

وفي باب النيرب كانت له أول حلقة إنشاد بمقابل وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره، ولقاء ليرتين سوريتين غنى أولى القصائد أمام الملأ، والتي تقول "مقلتي قد نلت كل الأرب/ هذه أنوار طه العربي/ هذه الأنوار ظهرت/ وبدت من خلف تلك الحُجب".

وفي سن مبكرة أيضا تمكّن من ختم القرآن وتلاوة سوره في جوامع حلب وحلقات النقشبندية، مفتتحا أول تمارينه مع الشيخ بكري الكردي أحد أبرز مشايخ الموسيقى.

نبوغ مبكّر

اشتد عود فخري وازداد تعلقه بالإنشاد والتجويد من خلال مجالسته لكبار منشدي الطرب الأصيل، واجتاز امتحانات غنائية صعبة على أيدي "السمّيعة" الذين يتمتّعون بآذان لا تخطئ النغم وتكشف خامات الصوت وتجري اختبارات حتى لكبار الأصوات آنذاك مثل محمد عبدالوهاب وأم كلثوم اللذين زارا حلب للغناء على مسارحها في ثلاثينات القرن الماضي.

وقد ساهمت "خوانم" أو نساء ذلك الزمن في صعود نجم الفتى، حيث أن من العادات الاجتماعية لسيدات حلب تحديد موعد شهري لكل سيدة تستقبل فيه من ترغب من معارفها وتكون الدار مفتوحة على الغناء والعزف والرقص، وهو ما كان يسمى "القبول" وصارت النساء يطلبنه للغناء في هذه التجمعات.

التحق بالمدرسة الحكومية الحمدانية في حلب، وهناك برز تفوّقه كتلميذ يشارك في المهرجانات السنوية للمدرسة.

ويروي كتاب "صباح فخري سيرة وتراث" للكاتبة السورية شدا نصار أبرز مراحل حياة فخري على مدى عقود، حيث تقول الكاتبة إن الفنان سامي الشوا تعهّده بالرعاية وغير اسم الفنان الناشئ إلى "محمد صباح" واصطحبه معه في جولات غنائية بالمحافظات.

ولم يكد محمد صباح يبلغ الثانية عشرة من عمره حتى وجد نفسه يغني في حضرة رئيس الجمهورية السورية آنذاك شكري القوتلي خلال زيارته إلى حلب عام 1946، ما اعُتبر محطة مصيرية قفزت بفتى الموشحات إلى خارج حدود حلب.

ودرس فخري في أكاديمية الموسيقى العربية في حلب ودمشق، وتخرّج من المعهد الموسيقي الشرقي عام 1948، كما أنهى دراسة الموشحات والإيقاعات ورقص السماح والقصائد والأدوار والصولفيج والعزف على العود على أيدي شيوخ الفن كالشيخ علي درويش ومجدي العقيلي.

رفض محمد صباح العرض الذي قدّم له بالسفر إلى مصر آنذاك لصقل موهبته وآثر البقاء في دمشق والغناء عبر إذاعتها الرسمية. وتقول الكاتبة نصار إن السياسي المخضرم النائب فخري البارودي كان قد أسّس معهدا للموسيقى في دمشق وأعجب بخامة صوت محمد صباح الفريدة وتوقّع لها مستقبلا ساطعا.

وتضيف الكاتبة "في إحدى الحفلات الإذاعية المباشرة على الهواء والتي كان يقدّمها المذيع صباح القباني شقيق الشاعر نزار قباني أراد النائب فخري البارودي أن يتبنى المطرب محمد صباح ويعطيه لقبه، فقدّم المذيع المطرب باسم صباح فخري".

وبمساعدة موسيقية من الفنان عمر البطش وضع صباح فخري أولى تجاربه في التلحين عن عمر لم يتجاوز الرابعة عشر ربيعا، وكانت أنشودة "يا رايحين لبيت الله/ مع السلامة وألف سلام/ مبروك عليك يا عبدالله/ يا قاصد كعبة الإسلام".

وجاءت أول أدوار فخري القديمة من ألحان سري الطنبورجي وهو حمصي المنشأ سكن في دمشق وعمل بائع أحذية. وتقول الأغنية "أنا في سكرين من خمر وعين/ واحتراق بلهيب الوجنتين/ لا تزدني فتنة بالحاجبين/ أنا في سكرين". وقد غدت هذه القصيدة ملتصقة باسم صباح فخري بعد أن أضاف إليها من روحه في اللحن والكلمة.

غياب الصوت واستعادته

تسبّب انتقال حنجرة فخري من الصبا إلى الشباب في حشرجة فاجأت صاحبها وصعقت خبراء الغناء، إذ يقول الكتاب إن هرمونات الرجولة غيّرت من طبيعة صوته وتكوين حنجرته الذي بدا كالمبحوح.

وتقول نصار "لعبت الحالة النفسية لصباح دورها السلبي، كلما حاول أن يرفع عقيرته للغناء كان يفاجأ بشخص آخر يغني من حنجرته. إنه ليس صوتي.. لست أنا ما الذي حصل؟ كلها تساؤلات كان يضجّ بها رأس الشاب الذي بدأ يشعر بفقدان أغلى ما وهبه إياه الخالق".

وفي سن الخامسة عشرة أطبق صباح فخري على صوته واعتزل الغناء مكرها، فراح يبحث عن لقمة عيشه في الترحال بين قرى ريف حلب إلى أن التحق بالخدمة العسكرية عندما أصبح شابا يافعا.

وتقول الكاتبة "مع اكتمال رجولته تبلورت حنجرته واكتمل تكوينها لتعيد للكنز الدفين تألقه، وعاد صوت صباح فخري الرجل يشقّ لنفسه مكانا بين ذكريات سنين المراهقة في أحياء حلب وبيوتها".

عاد فخري إلى أضواء الشهرة من بوابة إذاعة حلب وسهرات إذاعة دمشق وما كان يعرف بخيمة حماد التي غنى فيها مع المطربة اللبنانية صباح، وهناك قدّم الموال بالقدود الحلبية وغنى "مالك يا حلوة مالك" و"يا مال الشام ويالله يا مالي/ طال المطال يا حلوة تعالي".

وغنى فخري "نغم الأمس" مع رفيق سبيعي وصباح الجزائري، حيث سجّل ما يزيد عن مئة وستين لحنا ما بين أغنية وقصيدة ودور وموشح وموال، وقد حافظ على التراث الموسيقي العربي الذي تتفرّد وتشتهر به حلب. كما تلا أسماء الله الحسنى مع الفنان السوري عبدالرحمن آل رشي والفنانة منى واصف والفنان زيناتي قدسية.

> انتقال حنجرة فخري من الصبا إلى الشباب تسبّب في حشرجة فاجأت صاحبها، ممّا اضطره إلى اعتزال الغناء مؤقتا

وسجّل المسلسل الإذاعي "زرياب" كما لحن وغنى العديد من القصائد العربية، حيث غنى لأبي الطيب المتنبي وأبوفراس الحمداني ومسكين الدارمي ولابن الفارض والرواس وابن زيدون وابن زهر الأندلسي ولسان الدين الخطيب.

كما لحّن وغنى لشعراء معاصرين على غرار فؤاد اليازجي وأنطوان شعراوي وجلال الدهان وعبدالعزيز محي الدين الخوجة وعبدالباسط الصوفي وعبدالرحيم محمود وفيض الله الغادري وعبدالكريم الحيدري.

ووقف في العام 1974 أمام الفنانة وردة الجزائرية بطلا لمسلسل "الوادي الكبير" الذي تم تصويره في لبنان. وعندما التقى بالفنان المصري الراحل محمد عبدالوهاب الذي سمعه مندهشا، قال له "مثلك بلغ القمة، ولا يوجد ما أعطيك إياه" ودامت صداقتهما حتى رحيل موسيقار الأجيال.

وتقلّد الراحل وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة عام 2007 "تقديرا لفنه وجهده في الحفاظ على الفن العربي الأصيل ولرفعه راية استمرارية التراث الفني العربي الأصيل". كما قدّمت له المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الألكسو" في العام 2004 الجائزة التقديرية مع درع المنظمة ووثيقة الأسباب الموجبة لمنح الجائزة، لحفاظه على الموسيقى العربية ونشرها.

وسجّل فخري رقما قياسيا من خلال غنائه على المسرح مدة تجاوزت عشر ساعات متواصلة دون استراحة في العاصمة الفنزويلية كاراكاس عام 1986.

تزوّج فخري مرّتين، أنجبت له زوجته الأولى المتوفاة ثلاثة أبناء هم محمد وعمر وطريف، أما زوجته الثانية فأنجبت له ابنا واحدا هو المطرب أنس صباح فخري.

وشغل الراحل العديد من المناصب بينها نقيب الفنانين في سوريا لأكثر من دورة، ثم نائب رئيس اتحاد الفنانين العرب، كما انتخب عضوا في مجلس الشعب السوري في دورته التشريعية السابعة لعام 1998.

> موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب قال لصباح فخري عندما سمع صوته «مثلك بلغ القمة، ولا يوجد ما أعطيك إياه»

وزيرة الثقافة المصرية تفتتح مهرجان الموسيقى العربية عزفا على الفلوت

القاهرة – تحرّرت وزيرة الثقافة المصرية إيناس عبدالدايم من أعباء المنصب الرسمي لنصف ساعة اعتلت فيها المسرح لتقدّم معزوفتين على آلة الفلوت في افتتاح مهرجان ومؤتمر الموسيقى العربية، مساء الاثنين.

مشاركة الوزيرة بالعزف كانت الفقرة الأبرز ضمن افتتاح الدورة الثلاثين للمهرجان على مسرح النافورة بدار الأوبرا، والذي لم يتضمّن اسما بارزا من نجوم الغناء المصريين أو العرب ككل عام.

وكانت عبدالدايم رئيسة لقسم آلات النفخ والإيقاع في الكونسرفتوار وعضوا في أوركسترا القاهرة السيمفوني قبل أن تعيّن رئيسة لدار الأوبرا المصرية عام 2012 ثم وزيرة للثقافة في 2018.

وشمل برنامج افتتاح المهرجان تكريم تسع عشرة شخصية ساهمت في إثراء الحياة الفنية بمصر والمنطقة العربية، منها المطرب السعودي عبادي الجوهر والمغني اللبناني مروان خوري والموسيقار السوداني محمد الأمين وعازف القانون العراقي فرات قدوري والموسيقار المصري هشام نزيه والشاعر المصري مدحت العدل.

كما كرّم المهرجان اسمي الموسيقار جمال سلامة (1945–2021) وعازف الكمان عبده داغر (1936–2021) الذي يهدي دورته هذا العام لروحهما.

وبالتزامن مع حفل القاهرة انطلقت فعاليات المهرجان على مسرح مكتبة الإسكندرية بحفل للمغني اللبناني عاصي الحلاني بمصاحبة مجموعة الحفني بقيادة المايسترو أحمد عامر ومشاركة كل من نهاد فتحي وحسام حسني ونيفين رجب.

ويضمّ المهرجان الذي تستمرّ فعاليات دورته الثلاثين حتى الخامس عشر من نوفمبر الجاري، ثلاثة وثلاثين حفلا غنائيا وموسيقيا، بمشاركة أكثر من مئة فنان من عشر دول عربية، هي: مصر ولبنان والمغرب والسعودية والعراق وسوريا وتونس وفلسطين والأردن وعُمان.

ومن أبرز المغنين العرب المشاركين سميرة سعيد وجنات وأيوب التجاني من المغرب، وصابر الرباعي من تونس، ومحمد عساف من فلسطين، وهمام إبراهيم من العراق، وأصالة نصري وفايا يونان ووعد البحري من سوريا، ووائل جسار وزياد برجي وسعد رمضان وماجدة الرومي من لبنان.

ومن مصر علي الحجار ومدحت صالح ومحمد الحلو وهاني شاكر وعفاف راضي ونادية مصطفى وريهام عبدالحكيم ومروة ناجي وياسر سليمان وآيات فاروق ومحمد رشاد وكارمن سليمان ومحمد محسن.

كما يشمل البرنامج حفلات للموسيقار عمر خيرت وسداسي شرارة وفرقة عبدالحليم نويرة للموسيقى العربية والفرقة القومية العربية للموسيقى وفرقة ضفاف دجلة من العراق وفرقة سلطنة عمان.

وفي السابع من نوفمبر الجاري يحيي المهرجان مئوية ميلاد الفنان اللبناني وديع الصافي (1921 – 2013) بحفل يشارك فيه أنطوان وديع الصافي والمطرب معين شريف من لبنان والمطربة أميرة أحمد من مصر.

وبالتوازي مع المهرجان يُقام مؤتمر الموسيقى العربية تحت عنوان "الآلات الموسيقية في الإبداع الموسيقي العربي المعاصر" بمشاركة باحثين من مصر ولبنان وسوريا والعراق والأردن وتونس والمغرب وليبيا والسعودية والكويت والبحرين والسودان.

والمؤتمر تديره هذا العام الفنانة جيهان مرسي في الفترة الممتدة بين غرة نوفمبر وحتى الخامس عشر منه، حيث أعدّت اللجنة العلمية للمؤتمر برئاسة الباحثة رشا طموم أربعة محاور تشمل "خصوصية الأداء على الآلات الموسيقية العربية"، ويتناول هذا المحور الذي ينقسم إلى خمسة محاور فرعية، تقاليد الأداء على الآلات الموسيقية العربية التقليدية في الماضي والحاضر، وذلك وفق خصوصية كل آلة، إضافة إلى أثر التكوين الفني والمعرفي للعازف العربي وما يتميّز به من خيال إبداعي ومهارة أدائية تعينه على تقديم تأويل خلّاق وجديد.

وذلك من خلال: أولا، التقاسيم بوصفها أحد أهم تقاليد الأداء في الموسيقى العربية. ثانيا، مصاحبة الغناء، وإلى أي مدى تكون مصاحبة العازف المنفرد، أو الفرقة الموسيقية موحية للمغني وداعمة لأدائه ومؤكّدة على التقاليد في الغناء العربي.

ثالثا، التأويل الخلّاق للنص اللحني مسموعا أو مدوّنا، وإلى أي مدى يستطيع العازف المنفرد أن يضفي بأدائه بصمة خاصة مميّزة في كل مرة يؤدّي فيها اللحن بإضافاته النغمية والمقامية والأدائية تبعا لتقاليد الأداء على الآلة.

> المهرجان يضمّ في نسخته الجديدة ثلاثة وثلاثين حفلا غنائيا وموسيقيا، بمشاركة أكثر من مئة فنان من عشر دول عربية

رابعا، الأداء المنفرد للأغنيات بالآلة الموسيقية، وما يحمله من إبراز لقدرة العازف على بيان خصوصية واختلاف الأداء لمفردات النص الغنائي بآلته الموسيقية. وأخيرا، تجارب استخدام الآلات الغربية في الإبداع الموسيقى العربي، مالها وما عليها "رؤى نقدية".

وفي المحور الثاني سيتمّ التباحث حول "إبداع الموسيقى العربية بين التخت والأوركسترا"، ويتناول هذا المحور ثلاث نقاط أساسية هي: الإبداع المعاصر لآلات الموسيقى العربية ضمن مجموعات صغيرة وتجارب دمجها مع آلات أخرى، وتجارب الكتابة لآلات الموسيقى العربية في صياغة أوركسترالية، وأخيرا، تأثير تطبيقات الكمبيوتر على الإبداع العربي المعاصر للآلات الموسيقية العربية.

وضمن المحور الثالث الذي يتناول "تعليم آلات الموسيقى العربية وصناعتها" سيتمّ التباحث أيضا في ثلاث نقاط محورية، أولها، تجارب تعليم الأطفال العزف على آلات الموسيقى العربية التقليدية والشعبية، ثم الرؤى المستقبلية لتعليم آلات الموسيقى العربية داخل وخارج الوطن العربي. وأخيرا، تجارب صناعة آلات الموسيقى العربية وتطويرها وفق منظومة متكاملة تزيد إمكانيات العزف عليها.

في حين يناقش المحور الرابع والأخير من المؤتمر العلمي "دور الآلات الشعبية في الإبداع الموسيقي العربي"، ويهتم هذا المحور بالتباحث حول استخدام الآلات الشعبية في الإبداع المعاصر للموسيقى العربية، والتجارب الفنية في أداء تراث الموسيقى العربية التقليدية على الآلات الشعبية في الوطن العربي.

إيناس عبدالدايم تتحرّر من أعباء حقيبة الثقافة لتستعيد الفنانة التي فيها